"Self-Perception from an Ontological Perspective (Ghaliya Al Said's Novels as a Case Study)"

Researcher: Amani Jameel Jasim
University of Basrah / College of Arts
E-mail: amanijassim91@gamil.com

Prof. Dr. Luay Hamza Abbas
University of Basrah / College of Arts
E-mail: luay.hamaza@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Omani writer Ghaliya Al Said has garnered significant attention from Omani critics, particularly in the study of her literary works. This is due to her prolific output, making her one of the most productive Omani female writers. She started her literary career relatively early compared to other Omani female writers. Women's writing in Oman began with Badriya Al Shahi's novel "Circling the Embers" in 1999. Ghaliya Al Said followed in 2005 with her novel "Days in Paradise." She consistently published her novels, which led to increased interest in her literary achievements and the uniqueness of her world in addressing somewhat different issues from what other Omani female writers had produced.

The poet Abdul Razzaq Al Rubaie, through five novels and numerous short stories, has highlighted many of the problems faced by those living on the outskirts of major cities, leading lives steeped in illusions in materialistic societies where individuals are reduced to mere numbers. From here, the characters in Ghaliya Al Said's novels strive for salvation, justice, and the construction of a better future. The dream remains an elusive window open to this distant future. These dreamy characters shape the world of the author, representing her distinctive contribution to Omani feminist literature. She employs various artistic techniques, including the use of poetry, diverse narrative styles, and visual arts.

Keywords: Omani novel, Ghaliya Al Said, ontological, self-perception.

رؤية الذات من منظور انطولوجي (روايات غالية ال سعيد اختياراً)(*)

الباحثة : م.م. اماني جميل جاسم أ.د. لـؤي حمـزة عبـاس
كلية الآداب / جامعة البصرة
E-mail: amanijassim91@gamil.com E-mail: luay.hamaza@uobasrah.edu.iq

الملخص:

تحتل الكاتبة غالية ال سعيد اهتمام النقاد العمانيين خاصة في دراسة اعمالها الروائية وذلك لانها اكثر الكاتبات العمانيات انتاجا ، وبدأت بشكل مبكر مقارنة بالكاتبات العمانيات ، على اعتبار ان بداية الكتابة النسائية مع بدرية الشحي في رواية (الطواف حول الجمر) عام ١٩٩٩ وتبعها فيما بعد عام ٢٠٠٤جوخة الحارثي وعام ٢٠٠٥ غالية ال سعيد في (أيام في الجنة) وكانت منتظمة في نشر رواياتها على التوالي مما دفع الى الاهتمام بمنجزها الروائي ولتميز عالمها الخاص لتناولها قضايا مختلفة نوعا ما عن ما انتجته الكاتبات العمانيات. اذ يرى الشاعر عبد الرزاق الربيعي عبر خمس روايات، والعديد من القصص القصيرة، عالجت الكاتبة العمانية غالية بنت فهر آل سعيد الكثير من الإشكاليات التي يعاني منها الذين يعيشون على هامش المدن الكبرى، ويمضون حياتهم في اجترار الأوهام في مجتمعات هيمنت على أفرادها النزعة الماديّة، ولم يعد الإنسان فيها سوى رقم، ومن هنا تأتي محاولاته للخلاص، ونيل العدالة، وصولا لبناء مستقبل أفضل، ويكون الحلم نافذة مضاءة مفتوحة على هذا المستقبل الذي يظلّ بعيد المنال، هذه الشخصيات الحالمة هي التي تشكّل عالم الكاتبة التي تمثّل تجربتها علامة واضحة في الكتابة الروائيّة النسوية في عمان، مستخدمة العديد من التقنيّات الفنية، كتوظيف الشعر، وأساليب السرد المختلفة، والفنون البصريّة.

الكلمات المفتاحية: الرواية العمانية ، غالية ال سعيد ، الانطولوجيا ، رؤية الذات.

* بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة : رؤية الذات في رواية المرأة العربية روايات الكاتبة العمانية غالية ال سعيد اختياراً .

المقدمة:

لاشك بأن العمل الأدبي والرواية تحديدا من إنتاج ذات المتحققة فعليا الواعية بنفسها وما حولها، ولكل ذات رؤية خاصة تجاه ذاتها والعالم، فالذات الكاتبة قادرة على التعبير عن نفسها داخل العالم ،وطرح مشكلاتها وهمومها ورؤياها بطريقة واقعية ممزوجة بالخيال، وهذه الذات مرتبطة ارتباطا وثيقا بما حولها من مجتمع وما يحويه ،ومن آخر يقف أمام الذات فلولا وجود الآخر لما تسعى الذات لاكتشاف العالم واكتشاف ذاتها وبالتالي اكتشاف الآخر ،فكل حديث عن الذات يصحبه بالضرورة الحديث عن العالم والأخر ولا وجود للذات وخاصة الذات الكاتبة والمنتجة دون رؤية (وجهة نظر) خاصة بها ،ورواية المرأة العربية أثارت ،عبر مراحلها المختلفة ، أسئلة الذات وما يعترضها من أزمات وتصدعات وعلاقتها مع الآخر، وخاصة الرواية الخليجية ،إذ انشغلت الكاتبات الخليجيات بحكم العادات والتقاليد المجحفة بحقهن من جهة، وبين الاتصال المباشر وغير المباشر بالعالم ثقافيا وأدبيا من جهة أخرى، ترتب على الكاتبة الخليجية أن تخرج من حدود العقلية المنغلقة لمجتمعها ومحاكاة الثقافة الغربية المتحررة ومحاورة العالم بشكل واع، بما يشير الى مدى وعيها ورؤيتها العميقة لذاتها وعالمها والأخر الند، والآخر المختلف عنها، ومن المعروف أنّ المجتمع الخليجي على الرغم من الثراء والانفتاح على الآخر من خلال التواصل والحداثة، إلّا أنه مجتمعٌ مغلق على ذاته وخاصة بما يتعلق بحياة المرأة، لهذا نجد الروايات النسائية في الخليج، وإن بدأت في وقت متأخر، إلا أنها تتمتع بالحيوية والنشاط والنقد الشديد للمجتمع، محاولة من الكاتبة اتخاذ الكتابة وسيلة للتحرر من قيود المجتمع ، وأحيانا فضح مقومات وجوده التي ورثها، بهدف التغيير وأحيانا أخرى تكون الكتابة وسيلة للتعبير عن الذوات الأنثوية وعن القضايا التي تشغلها وتصوير العالم الذي تنتمي إليه.

نتعرف في هذا البحث على رؤية الذات للعالم الخارجي وللقضايا الوجودية الأساسية في رؤية الأنسان لذاته وللوجود مثل الأسئلة التي يطرحها الأنسان عن ذاته، ومدى جدوى الإجابة في تشكيل رؤيته لذاته والعالم.

مدخل:

الأنطولوجيا هي علم الوجود، أو مبحث الوجود. وهو مبحث فلسفي يسعى إلى تقديم نظرية للوجود، بشكل عام. والوجود هو فعل الظهور وخروج الذات الى العالم.

وتعرف الأنطولوجيا ب: ((العلم الذي يكون موضوعه الوجود المحض، أو الموجود المشخص وماهيته، أو الموجود من حيث هو موجود أو الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره))[١].

إن كل سؤال مرتبط بالوجود سيكون بلا ريب سؤالاً مؤرقًا وقلقًا وشاقًا، إنه سؤال عن الذات سواء في بعدها الذاتي (الأنا) أو في بعدها العلائقي (الأغيار) الذين أتقاسم معهم العالم بشكل قسري ...، والسؤال كما يقول موريس بلانشو: ((السؤال بحث. والبحث بحث عن الجذور. إنّه الاستقصاء والغوص حتى الأعماق والحفر في الأسس وتقصي الأصول. وهو في النهاية استئصال. هذا الاستئصال الذي يقتلع الجذور هو العمل الذي يقوم به السؤال. وهو عمل الزمان. يتقصى الزمان نفسه ويختبرها في عظمة السؤال. الزمان هو دورة الزمان. استجابة لدورة الزمان تقوم إمكانية طرح الذات موضع سؤال في الكلام الذي يتساءل عن طريق الكتابة، وهذا قبل أن يتكلم)) [٢].

إن السؤال بهذا المعنى محاولة للإدراك، إدراك الذات في علاقتها بذاتها وبالعالم، وفعل الإدراك سيجعلنا نتيقن أننا لا نزيد عن كوننا كائنات قذف بها في العالم بغير إرادة ولا اختيار ...، وأننا لا نقترب سوى من الموت في كل لحظة وجودية نعيشها في هذا العالم [٣].

إنّ الرواية، تساعدنا على أن تكون لنا فكرة عما هو العالم، أي أنّ تكون لنا فرضية أنطولوجية كما يقول كونديرا، فكرة أنّ العالم فخ، وأن الحياة الإنسانية بوصفها كذلك هي هزيمة، والأمر الوحيد الذي يبقى لنا إزاء هذه الهزيمة المحتومة التي ندعوها الحياة هو محاولة فهمها وهنا يكمن سبب وجود فن الرواية.

فالمتن الروائي ذو بعد كوني، وموضوعه هو الوجود الإنساني، والوجود كما يرى كونديرا لا يعني الواقع، لأن الوجود ليس هو ما وقع، بل الوجود هو حقل الإمكانات الإنسانية هو كل ما يمكن أن يصيره الإنسان [٤].

تتناول هذه الدراسة رؤية الذات إزاء الكون والوجود وطرح أسئلة عن طريقة تشكيل العالم، ودور الذوات ومدى ثبات الذوات أو تشتتها في الحياة. وتسعى إلى التعرف على الصور المختلفة التي تعبر بها الذات عن نفسها في النص الروائي من خلال رؤيتها الخاصة.

نتعرف في هذه الدراسة عن رؤية الذات للعالم الخارجي وللقضايا الوجودية الأساسية في رؤية الأنسان لذاته وللوجود، مثل الأسئلة التي يطرحها الأنسان عن ذاته ومدى جدوى الإجابة في تشكيل رؤيته لذاته والعالم.

رواية التكوين: أسئلة الذات

تطرح الكاتبة غالية آل سعيد في رواياتها أسئلة الرجل بدء من شعوره بقيمة وجوده في الحياة وحضوره الفاعل فيها، ونظرته الموروثة عن المرأة ومحاولة السيطرة على كل شيء في الحياة، ومن بينها المرأة إذ أنّ أبطال رواياتها الأربع (أيام في الجنة، سنين مبعثرة، جنون اليأس، سأم الانتظار) رجال على العكس من معظم الكتابات النسائية الجديدة، التي تحاول الولوج إلى عالم المرأة والتحدث عنها وعن قضاياها وتقديم رؤيتها للعالم، وسرد معاناتها ضد جبروت العالم تجاه المرأة، ونقدها وتحليلها نوعا من أنواع رد الاعتبار لمكانة المرأة في المجتمع، وتسلمها مفاتيح العالم ،لذلك فإنّ الذات الأنثوية حاولت فك الحصار المطبق عليها ، وكسر أغلال المؤسسة المركزية الذكورية عبر مسارات عدة ، لعل أبرزها فعل الإبداع الذي يتيح لها التنفيس عما بداخلها ، والخروج من قبضة الأسر التي وقعت فيها بفعل هذه المؤسسة ، لاسيما وان الكتابة الأنثوية وسيلة لتفجير المكبوت ، وطريقة للغوص في أعماق الداخل ، واستنطاق مخبوءاته الثاوية في أغوار النفس ، تسعى الذات من خلاله الى كسر الطوق الذي يحيط بمتنها وتفكيك الأسوار التي نصبت في طريقها ، أملا منها في أن تصنع لها واقعا تطمح من خلاله إنشاء مركزية توازي مركزية المؤسسة الذكورية ، تكون ندا في مواجهة الآخر / الرجل ، أو في أقل تقدير تكون في مستوى مواز للرجل في نسقه الاجتماعي. (٥)

كما يرى الناقد محمد معتصم إذ يقول بأن ((المرأة تكتب عن موضوع لصيق بها ويشكل محور كينونتها، كيف تفكّر، وكيف تحسّ، وما ينتابها من شعور باليأس والإحباط، أو الرضا والحبور، عندما تصدم بسلوك معيّن... وما تطمح إليه من آمال وما ترغب في تحقيقه لذاتها، ولبني جلدتها)) (٦).

ويضيف تعزيزا لوجهة نظره: إنّ كتابة المرأة عن عالمها دفع بعض النقاد بتوصيف كتابتها بأنّها عبارة عن كتابة سيرة ذاتية، وهي ليست سوى اعترافات لا تتجاوز ما يخامر الذات في لحظات ضعفها، وفي سطوة غرائزها وشهواتها (٧).

وعلى النقيض من ذلك نجد بعض الدراسات تنفي ما سبق قوله ((بأنّ المرأة لا تعيش رغبتها، وإنّما تتشكل كذات راغبة انطلاقا من الرغبة الذكورية فيها)) (٨).

وهذا ما يؤكده باحثون آخرون وهم يصفون كتابة المرأة بأنّها محاولة لدخول مستعمرة الرجل. لان ((كل امرأة كاتبة لا يُمكنها ألا أن تعيش تجربة التماهي الرجولي ... فالكتابة إذن ليست وسيلة لتفجير مكبوتات الجسد النسائي، بل هي نمط حياة يسكنها الرجل على الدوام)) (٩).

وهذا الرأي يتأثر بأفكار نظرية كارل يونغ القائلة بأنّ المرأة تحسد الرجل على ذكوريته ولا تطمع إلا أنّ تكون ذكرا وهذا ما يتجسد في كتاباتها.

وللإشارة فإنّ مسلمات كارل يونج تدخل ضمن نظرية الأنيموس ANIMUS ويقصد بها الضمير الذكوري داخل المرأة، وهو مفهوم يقوم على فكرة أنّ الأنثى تنطوي في داخلها على الذكورة ،كما أن هذا الأنيموس الذي يُمثل القوة النفسية والمعنوية في المرأة، يساعدها على التفاعل مع العالم الخارجي، ويعينها على استخراج كوامنها ومشاعرها الداخلية، ويأخذ بيدها للإفصاح عن ذاتها عاطفيا وإبداعيا بطريقة محسوسة وكأنّ المرأة حسب هذا الاعتقاد لا تتجرأ على الحديث عن ذاتها إلا بامتلاكها هذه القوة التي تؤهلها لفعل ذلك (١٠).

وهذا ما نراه في روايات غالية آل سعيد إذ تتجه اتجاهات مختلفة محاولة منها إعادة النموذج التقليدي في الكتابة الروائية الذكورية، غير مبالية بقضايا المرأة، أو الإشكاليات والمعارك التي تدور حول كتابة المرأة الجديدة، وربما تعمدت الكاتبة أن تبتعد عمّا يدور في عوالم المرأة، بسبب مكانتها السياسية والاجتماعية كما أنها بعيدة عن المرأة العربية، لأنها عاشت حياتها في لندن، وابتعدت عن الأوطان العربية، فيلاحظ في رواياتها محاولة لتقديم رؤية للعالم من خلال الرجل لا المرأة وهي تغوص في عوالم الرجل وتقديم رؤاها الذاتية حول العالم والآخر، أي أنها تدخل للعالم عن طريق الرجل ولان الحديث عن الرجل يمنحها الجرأة لتتحدث عما تريد بحرية أكثر.

ففي روايات غالية آل سعيد وخاصة الروايات التي تختار فضاء غربيا ك (جنون اليأس) / (أيام في الجنة) / (سنين مبعثرة)، نلاحظ أن الذوات الإنسانية التي تستثمرها الكاتبة ذوات ضعيفة استثنائية ومختلفة برؤيتها تجاه العالم، وبالطرق التي تسلكها لكي تعيش، وهي ذوات غير مستقرة ليس لها أي مبدأ أو قاعدة تسلكها.

ففي رواية (أيام في الجنة ٢٠٠٥) يلاحظ أن الذوات الإنسانية في تساؤل دائم عن طبيعة الكون وكيف يتم توزيع الأدوار في الحياة بين الناس. غسان بطل الرواية كثيرا ما يتساءل أسئلة كونية والفروقات بين البشر وبين البلدان، فهو هارب من واقعه المر في مصر واختار فضاء آخر له (لندن) يحاول العيش، غير مبال بأية قوانين ومجردا من المبادئ، حاملا أعباء الحياة التي عاشها في مصر محملا بالغضب،

ومحاولا تخريب أي شيء جميل في الحياة في لندن، إذ تحول حرمانه وضعفه اللذين عاشهما في بلده إلى انتقام من كل وسائل الرفاهية في الحياة لدى الآخر. وتعتمد الكاتبة على المونولوج الداخلي لتعبر من خلالها عن حجم التساؤلات الكبيرة لدى الشخصية، إذ تنسجم هذه الطريقة مع مبدأ اكتشاف الذات الذي تبناه خطاب الرحلة ضمنيا ضمن فلسفة عرفانية تدعو الى تنقية وتهذيب الروح عبر مكابدات البحث والاكتشاف والتجربة، لاسيما إن "المونولوج الداخلي في مختلف أشكاله وأنماطه مكون يهيمن على نص ويمكنها من مسالك جمالية وأسلوبية ووظيفية تخصص هذه البلاغة الجديدة بلاغة مضادة للسائد والمألوف في الأدب العربي عامة والروائي خاصة – التي بدأت تتأسس بداية من الستينات من خلال بعض الأعمال الروائية[١١].

ونلاحظ أنّ غسان من الشخصيات الروائية التي تمتاز بالغرابة وهي مرسومة بطريقة يصعب فهمها أو فهم توجهاتها فهو يعترف لنفسه بعيوبه وبالأخطاء التي يرتكبها، وهو مدرك للعالم الذي حوله جيدا فهو شخصية تمتاز بالذكاء والفطنة ويعلم جيدا كيف يتعامل مع الآخرين وكيف يجد له وسائل للعيش، ويحاول أنّ يجد طرقا للعيش بأية وسيلة كانت، رافضا أي قوانين أو مبادئ يستند اليها ويجد مبررات لكل ما يفعل.

لغسان رؤية غريبة وخاصة تجاه العالم فلدية قناعات خاصة، مثل رؤيته للعمل، وانه عازف عن العمل ويحصل على المال بطرق غير قانونية، مثل السرقة أو النصب، ويرى بأنه بذلك يحصل على جزء من حقوقه كانسان، كما يقوم بسرقة أموال الفقراء من الكنيسة، لأنه يرى بأن هذا الأمر شرعي وقانوني كونه فقيرا ((وأقسم بأنّ لا يقدم للكنيسة ولا قرشاً مما سيجمعه ويحصل عليه من مال.. مبرراً بأن ما سيجمعه مال للفقراء، وبما أنه هو فقير أيضاً فإن قرار الاستيلاء على هذا المال سيكون حلالاً، ولن تكون هناك حجة عليه لا مبدئيا ولا دينياً)) [١٢].

كما أنّ رؤيته تجاه زوجته كلارا خاصة ومختلفة،فهو يرى انه بتعنيفه إياها تحبه أكثر وتبقى معه ((إنّه يعتقد العكس... إن أعماله الشائنة جعلتها تتمسك به أكثر فأكثر. فبالنسبة لها هو الرجل وهذا يعني أنه أهم ما في الوجود... أهم ما في وجودها... على الرغم من أنها التي تقوم بكسب الرزق وتحمل أعباء معيشتهما.. على هذا يجب أنّ تكون له الخادمة المطيعة)) [١٣].

وعن الشعور بالنقص، يتكرر ذلك (تقمصه للشجاعة المزيفة يساعده سيكولوجياً على تغطية نقص وتذبذب بهما دائماً)) [١٤].

ولكن كيف يعيش بالطريقة هذه؟ يظهر أن ثمة مبرراً له، إذ يلقي بالمسؤولية على المجتمع الرأسمالي وغيره (ومنذ نزوحه إلى لندن وتعايشه في مجتمع رأسمالي هذا يتراءى له أن نظام هذا المجتمع مسؤول

أيضاً عما يعانيه من ازدواجية في الشخصية، لقد فصله هذا المجتمع روحياً وجسدياً عن كل ما يدور حوله به من إساءات ومشاغبات ضد الآخرين [١٥].

.. حتى أن كل ما يقوم به: رغبة في أخذ الثأر والانتقام من الفئتين (أسرته والنظام الرأسمالي).. الجنس، المرأة، عالم الفرائس الثمين عند غسان. من النساء على امتداد الرواية، تعيده إلى دائرة أشد كارهي المرأة، وأن سعيه الدائم إلى ملاحقة النساء، يوحد فيه زير النساء الشرقي ودون جوان الغربي، ولكن المصهر هو غسان الذي يتغربن بمظهره، ويشتهي الغريبة. من خلال سلسلة مغامراته، كما في رغبته الشديدة في أن يكون بارونا، أو يكون له لقبان كل ذلك نتاج صيرورة مجتمع مفتوح على أشده. أو مغلق على أشده.

إنّ (أيام في الجنة)، (صيغة تهكمية لكائن ضليع في التهرب من الآخر، أو ربما، في اقتناص الآخر، ليكون مصرفاً لصالح رغباته الشديدة الخصوصية، في تصريف رغباته الشهوية: شهوة الطعام والشراب واللباس والمقام والجنس المتعدد الدلالات، لأنه استقوائي بمكونه التاريخي.

غسان الشرقي، غسان الهامشي ومحب الأضواء في الغرب، وفي المتروبول الاستعماري، كائن هجين مشوه، ناسف للحدود الفاصلة، مثلما أنه حيوان الرغبة المدمرة للهوية الميت ذاتية [١٦].

أما شخصية (ناجي) في رواية (سنين مبعثرة)، فالعنوان يحيل إلى حياة ناجي المبعثرة، وسنين حياته التي قضاها باحثا عن ذاته، وعن سبب للعيش، فهو الطفل المدلل لوالديه، والناجح في عمله في الصحافة، تتفتح له الآفاق في العمل وينتقل من وظيفة إلى أخرى، وجاب المدن وتعرف إلى هويات مختلفة، لكنه مشغول بسؤال عن ماذا يرغب؟ أو ماذا يريد، وما هي غايته في هذه الحياة؟ وما دوره؟ ويحاول جاهدا أن يجد إجابة لكنه يفشل في كل مرة.

يحاول ناجي أنّ يجد سببا للعيش في بداية حياته فينخرط بالصحافة وتشغله سياسة الدول والمجتمعات والفروقات بين الناس ويحاول أن يشغل وقته بالعمل، ولكن حين يركن إلى ذاته يتساءل عن جدوى حياته ويبحث عن معنى جديد يغير حياته ويشعره بأنه حي، وهذا الأمر يجعله يدخل في علاقة مع (دافني) سكرتيرته في العمل، المرأة العجوز، التي تكبره بأعوام ولم يشعر تجاهها بأي شعور عاطفي ولكنه ينسحب إليها لعله يجد فيها معنى حياته الذي يبحث عنه، وخاصة أن (دافني) امرأة حنون تهتم به وتنظم شؤون حياته جميعها ولكن علاقته بها تتوضح أكثر إثناء صحوته من الشرب وتفكيره بوضعه معها فكل مرة يعترف لها بأنّه لا يحبها وأنهّ بحاجة إلى امرأة أخرى وحياة أخرى، لكنه لا يستطيع أن ينفلت من سيطرتها عليه وعلى حياته، حتى يتعرف على (غابرييلا) الفتاة السمراء الجميلة التي ظن بأنه سيجد حياته

معها، منحته غابرييلا الحب والأمان وقضى معها أياما مستقرة وتزوجا، إلا إنّه عاد إلى شروده الذاتي من جديد والى إدمان الكحول، فهو في دوامة لا تنتهي من الحيرة والتساؤلات التي ليست لها أي إجابات ((ظل رأسه مليئا بأسئلة عديدة لا إجابة لها، بعضها سبب له ارتباكاً فحاول تحاشيها. سؤال واحد ظل يقفز لمخيلته وهو: لماذا عاد إلى حياة الوحدة التي لا يطيقها؟))[١٧].

ووصله الرد في صورة صريحة لا لبس فيها. غابرييلا استطاعت اقتحام حياته لسببين. السبب الأول أنّه شخص متذبذب ولا رسوخ في حياته، والثاني أنه شخص من دون روابط اجتماعية. غابرييلا ليست الأنثى الوحيدة التي استغلت هذه الفجوة؛ كل النساء في حياته دخلن من هذه الفجوة. هو رجل أعزب حتى هذا العمر ومن دون روابط أسرية وهذا نمط مغر لكثير من النساء لقلة الرجال العزاب [١٨].، هو شخص ضائع لا يشعر بالانتماء إلى أي جهة وخاصة بعد معرفته بأنه متبنى من عائلة ذات أصول عربية، وان الأمان الذي شعر به والاستقرار لم يكونا حقيقين، وبدأ يبحث عن أصله وانتابته أسئلة حول الشرق الأوسط الذي ينحدر منه، وينجذب إلى أي شيء يخص الشرق الأوسط ،حتى عند معرفته بغابريلا ظن أن سمارها يوحي إلى أصولها العربية، إلا أنها خيبت ظنونه وأخبرته بأنها من (فنزويلا)، وبعد فترة وجيزة شعر بها بالأمان مع غابرييلا هجرته بسبب إدمانه على الكحول ووضعه البائس وغادرت دون عودة، وليس لديه أي معلومات عنها ولم تترك أي شيء يساعد إلى الوصول إليها، يبحث ناجي عن الاستقرار لكنه سرعان ما يفقد الشعور به، فعند زواجه بغابريال يستسلم لشرب الكحول واليأس، حتى تضطر إلى تركه ومن ثم يبحث عن الاستقرار في مكان آخر، ويعمل بنصيحة صديقه سايمون الأعزب، حين يخبره بطريقة يسلي وقته بها وهي الرد على الإعلانات في المجلات حتى يتعرف عن طريق الإعلان إلى (شنيد) الفتاة المفعمة بالحياة والطاقة، ويشعر أن حياته بدأت تستقر، حتى تقتل بظروف غامضة وغير مقنعة ويرجع ناجي إلى حياة الضياع والبؤس باحثا عن سبب آخر للعيش وطرق أخرى ليكمل حياته دون ملل، إلا انه يبقى كما هو: حياة مبعثرة وتائه وينتهي به الأمر وحيدا ((كان يرقد مسترخياً يلف جسده بأغطية زرقاء يأخذ أولها بتلابيب آخرها؛ هو على وعي تام بالثمن الذي كان عليه أن يدفعه في مسيرة حياته المضنية، ليبحث عن الحب والحقيقة وليعرف طبائع الأشياء))[١٩].

تصنف شخصية ناجي بانتمائها إلى الذوات الغارقة في ذاتها، الباحثة عنها، المشغولة بها، حتى يصل بها هذا الاندماج إلى حد الضياع. وهي ذوات تحاول أن تجد سبلا وأسبابا للعيش، ولكن البحث يضنيها وتجد ذاتها في دوامة لا تستطيع الخروج منها، وتبقى كما هي دون تغيير أو حل، فهي شخصية تستفذ سردا لحياة ذات ضائعة بلا أهداف أو رؤى، فناجي لا يملك رؤى تجاه العالم منضبطة أو وعي بالعالم وما حوله، فالذات هنا مجردة من أي رؤية واضحة، بل إنها تعيش بطرق فوضوية وربما قدرية أي

تترك القدر هو من يتحكم بها وبمصيرها ويحدد تجاربها ومسيرتها، فشخصيته مسيرة لا تمتلك أي وسيلة لإدارة حياتها.

ونلاحظ تشابها بين شخصية ناجي وشخصية الدكتور نديم نصرة في رواية (جنون اليأس) وهذه الرواية كسابقتها يوحي العنوان إلى ضياع وتشتت شخصياته حتى يصلوا إلى مرحلة الجنون ثم الموت.

أما نديم نصرة فهو طبيب ناجح متمكن ماديا ومتزوج من امرأة أجنبية ولديه أولاد أوصلهم إلى مراحل متقدمة، وهو مستقر كما يبدو في بداية الرواية إذ ((كان وراء النجاح الذي حققه الدكتور نديم نصرة في الحياة العملية والشخصية، قصة كفاح ومثابرة خارقة، امتدت إلى سنين طويلة ومضنية، كأنها ظلمات الليل الحالك السواد.. أعطى هذا النجاح الدكتور نديم ثقة كبيرة بقدراته، وحرره من الشعور بالدونية الذي كان يعتريه بسبب محدودية كسبه وتعثر سيره في العمل)) [٢٠].

.. لذلك لم يكن غريباً أن يستمتع بما يدور حوله في الحياة الاجتماعية، وبخاصة الوسط الإنكليزي الذي يعمل فيه وعلاقته مع زوجته مورين وأولاده. تملكه شعور قوي أن الحياة أقبلت نحوه بابتسامة عريضة ويد محدودة وأنها تمده باستقرار ذهني لم يعرفه منذ سنين طويلة)) [٢١].

ولم يلاحظ سببا لبؤس نديم نصرة أو ضياعه على الرغم من أن هناك إشارات إلى ماضيه المؤلم ومدى التعب والشقاء الذي عاناه حتى وصل إلى هذه النقطة، إلا أن هذه الاستقرار جعله يشعر بالحنين إلى وطنه وأهله في بلاده العربية ((وفي الحقيقة، البعد عن أسرته وأهله وذويه يؤرقه... الآن، يستطيع تصحيح الفوضى في حياته، ووضع الأمور في نصابها، لذلك بدأ يحن إلى أسرته العزي دياره البعيدة، ويتمنى لقاء كل ما هو عربي وشرقي؛ البشر والمأكولات والطقوس والبيئة واللبس والشوارع والأزقة. عند سماعه لأناس يتحادثون باللغة العربية)) [٢٢].

وهذا الشوق يبرره بكونه مستقرا في لندن ولديه كل مقومات الحياة هناك، إلا إنّه ظل حبيسا للحنين وإحساس الغربة الذي ينتابه بين الحين والآخر، ويلاحظ انتماء نديم نصرة العربي بطراز عيادته العربية، واللوحات الشرقية المعلقة، وباحتسائه للقهوة العربية، وبحثه الدائم عن شريك عربي يشاطره ذكرياته العربية، حتى تعرف إلى نافع العربي وعلى زوجته مليحة، وهنا تدخل الذات بدوامة البحث عن ذاتها من خلال الآخر، فنديم يجد في مليحة ذاته العربية التي يفتقدها ويشعر بالأمان والحنين بكل ما يخص مليحة، حتى ملامحها العربية، وشكل جسدها والعطر الذي تستخدمه، وترتيب منزلها ذي الطابع العربي ((يلاحظ وجود شبه دقيق بين مليحة وشخص يعرفه معرفة لصيقة، أو لعله طيف يسكن في عقله الباطني لسنين طويلة. طيف يتكون من مجموعة وجوه، فيها وجه أمه وأخواته وعماته وخالاته وبعض نساء حيه القديم. وظل

الطيف يكبر ويتمدد، وهو يشم روائح الطبخ التي تشابه طبخ أمه الذي ما زال عالقاً في أنفه. شقة مليحة ليست سوى صورة مصغرة من بيت أسرته، الذي يبعد آلاف الأميال. سأل نفسه: هل هذا هو الطيف الذي ظللت أجري وراءه كل تلك السنين)) (٢٣).

يشعر بالأمان والانتماء إلى هذه المرأة العربية ((هذا التشابه بين جمال مليحة والجمال في بلاده البعيدة، مثل له الكنز المفقود الذي ظل يبحث عنه في جذوره القديمة. وزاد حنينه وشوقه لأجواء الشرق الدافئة، وعزز شعوره بوجود اختلاف عظيم بين الحياة الإنكليزية الباردة التي يعيشها مع زوجته مورين وبين الحياة في بلاده البعيدة)) (٢٤).

على الرغم من أن مليحة متزوجة من رجل آخر وأصبحا أصدقاء، إلا أنّ هذا الشعور بالفقد وعدم الانتماء إلى البلد الأجنبي، والزوجة الأجنبية، والحياة التي يعدها غريبة عنه ورتيبة ومملة، يدفعه إلى علاقة محرمة مع مليحة وغير آبه بأية محرمات أو أخلاقيات دينية أو مجتمعية، وحتى إنسانية فيلاحظ العلاقة العميقة بين نديم ومليحة التي تتجاوز اللقاءات السرية داخل عيادة الدكتور إلى اللقاء داخل البيت العربي الذي يجمع مليحة مع نافع، وتبدأ العلاقة بالتطور والتحول حتى تصبح مليحة هي الشغل الشاغل لنديم ويهمل ما سواها وكيف لذاته أن تنشغل بالآخر الذي يحقق له ذاته وتنصهر به وتظل الذات حبيسة الآخر التي ترى فيه ذاتها، ولايخرج الدكتور نديم من سجن مليحة بل يبقى غارقا في حبها محاولا جذبها إليه بكل الطرق في سبيل تحقيق حلمه العربي، بأن يقترن بامرأة عربية ويصبح لديه وريث من بلاده، ويستخدم كل الطرق التي توصله لها حتى عن طريق زوجها نافع، وهذا هاجس الهوية الذي ظل يشغله حتى مماته ((فعلى الرغم من أن علاقته بمليحة بنيت على مبدأ عشقه للعروبة المتجسدة فيها، إلا أنه استحوذ على هذه العروبة بطريقة غير مشروعة، إلى درجة الإسهاب اللامحدود في اللاشرعية والابتزاز، أو الاستعمال الجسدي المدفوع الثمن؟! فهو منذ بداية الرواية إلى آخرها كان يجتهد في أنه: سيروي ظمأه العاطفي الذي طال أمده، ويبل شوقه إلى عروبته الذي أخمدته تقلبات الحياة))

ونراه يقوم بإقناع مليحة لتحمل منه وهو أمر يصعب تقبله في مجتمع عربي أو أسرة عربية مسلمة إلا إنّه يحقق هذه الرغبة ويكون والد الطفل، ومثل نديم نافع زوج مليحة الذي يسعى بكل الطرق الزواج منها وإجبارها على ذلك، ويتم الزواج على الرغم من الفضيحة التي تفعلها ليلة الزفاف، ألا انه يمسح الحرج ويتقبل الأمر لأجلها، ويقوم بإرغامها على العلاقة وكذلك على تقبل وضعه المادي الضعيف ونراه يتقبل الشتائم والتوبيخ الدائم من مليحة حول حياتهما البائسة، كما تراها هي ويستقبل ذلك التوبيخ بابتسامة ووعود كثيرة حول الإصلاح والتغيير للأفضل وعلى الرغم من أن علاقة مليحة بنديم واضحة بالنسبة لزوجها نافع، إلا إنّه يتجاهل الأمر ويستقبل الدكتور في بيته ويتسامران معا، بل يسمح للدكتور بأن يسعد زوجته البائسة

والمتطلبة ويقبل بان يلبي الدكتور احتياجاتها، ولابد من أنه على معرفة بأن الاحتياجات تتضمن العاطفة والجسد، ويثير هذا الأمر التساؤل عن طبيعة شخصية نافع والدكتور نديم نصرة، فهي شخصيات غريبة تتقبل الحرام والخطأ لأجل ملذاتها المتمثلة بالمرأة مليحة ويبقى الاثنان يدوران في دائرة مليحة، ويصبح كل منهما أداة طيعة بين يديها، حتى يصبح تبادل الأدوار بينهما بشكل يومي، فنافع يأخذ دور الأم بعد أن تتخلى هي عن ابنها وترفض إرضاعه والعناية به، فيأخذ نافع هذا الدور ويقوم بالاهتمام به والسهر عليه ويشاركه بذلك نديم حتى يكبر وتصبح هناك فجوة بين مليحة وطفلها ويشعر الطفل بان أباه وأمه هو الدكتور نديم ونافع ولا يتعرف إلى أمه في هذا التبادل بين دور المرأة والرجل، يحدث مسخ للهوية الذكورية على حساب الهوية الأنثوية، فنجد كلا الرجلين يمارسان وظيفة المرأة والانصياع وراء رغبات مليحة، فهي المتحكمة فيهما وبشكل الحياة التي وضعتهما فيها، فبالرجوع إلى شخصية مليحة نراها أقوى من شخصية نديم ونافع ومتحكمة أكثر، خالية من العواطف، على عكس ما تعرف به المرأة بالعادة من الوهن والضعف وقوة وهنا يلاحظ دور المرأة في هذه الرواية بوصفها شخصية قوية غير خاضعة لتوجهات الرجل العاطفة فمليحة مجردة من أي شعور تجاه زوجها، أو حتى علاقتها مع نديم التي اتخذتها طريقا للعيش برفاهية لا أكثر، على العكس من نديم إذ أصبحت هذه العلاقة كل حياته، ففي الرواية إعلاء للذات الأنثوية على حساب الذات الذكورية، دور المرأة أقوى من دور الرجل، استطاعت الروائية أن تنهض بالمرأة في هذه الرواية، وعلى الرغم من أنّ الرواية تتحدث عن نديم نصرة، إلا إنّ مليحة تأخذ دور البطولة منه وتتحكم هي بالحكاية، برغم من أنها تصاب بالجنون والنسيان لوهلة، إلا أنّها تعاود الحياة من جديد وبقوة بعد أن تتعرف على رجل آخر بعد مقتل نديم ونافع، ويلاحظ أن حياة نديم ونافع تنتهي بالقتل بسبب مليحة كذلك، فهما يعيشان حياتهما لأجل مليحة وينذران روحيهما لها وتنتهي حياتهما بشكل مأساوي بسببها أيضا، ومليحة شخصية لا تعرف الاستسلام والهزيمة، مثابرة تحاول الصعود بأي شكل كان وتتخلى عن كل ما يعرقل حياتها أو يقف في طريق صعودها إلى المركز حتى على حساب أمومتها.

يلاحظ في روايتي غالية آل سعيد (جنون اليأس) و(سنين مبعثرة) إنها تتحدث عن ذوات ذكورية ضائعة وتعمل على تهميش ذاتها من خلال الآخر الذي تندمج فيه وتنهي وعيها. ذوات غارقة في الآخر لا تمتلك رؤى خاصة بها بل تتشكل رؤاها وفق العالم الذي تعيش به والآخر الذي يشاركها العالم، ذوات بلا طموح أو هدف بلا قيم أو مبادئ ليس لديها خطة للحياة، بل هي مسيرة بالأقدار المكتوبة لها، ومستسلمة لهذه الأقدار، وحتى وأنّ حاولت التغيير ترجع إلى نقطة الصفر، مثل شخصية نديم ونافع في جنون اليأس، اللذين يقتلان بسبب مليحة وتنتهي حياتهما نهاية مأساوية. وناجي في سنين مبعثرة الذي يبقى طريح الفراش لا معنى لحياته بائسا ضائعا يبحث عن معنى في كل مرة يفشل فيها.

أما شخصيتي غسان في (أيام في الجنة) ومليحة في (جنون اليأس) فهما ذاتان غارقتان في حدود عالميهما وتعملان على تلبية رغباتها واحتياجاتها مهما كلفها الأمر

يلاحظ أن رؤية الذوات للوجود في روايات غالية آل سعيد ثابتة تقريبا وبخاصة رواياتها الأولى فجميع الذوات ضائعة تبحث عن حضورها، أما من خلال شغفها بنفسها وحب الذات الجنوني، أو من خلال الآخر الذي تنغمس فيه، وتتوضح رؤيتها من خلاله، أي أنّ الآخر هو من يشكل رؤية الذات ويسيطر عليها وكأن رواياتها تدور في دائرة واحدة وأسئلة واحدة تتمركز حول بحث الذات الدائم على سبل العيش والخلاص من إحساس الضياع والانكسار، الذي تشعر فيه بسبب النشأة والذكريات التي تلاحق الذوات عن ماضيها وتسيطر على حاضرها، الذكريات المؤلمة والماضي المليء بالظروف القاسية التي جعلت منها ذاتا مختلفة مملوءة بالحقد والتساؤلات الكثيرة حول العالم، وطرق تشكيله غير المنصفة من وجهة نظرهم .

انشغلت غالية آل سعيد بتقديم شخصيات مهمشة على حافة العالم وقدمت عوالمهم بطريقة أضفت عليها شيئا من الغرابة. فالنساء عندها متمردات والرجال يحاولون عبور واقعهم وكل ذلك تعبير عن مكابدة الأنسان في عالم قاس ومرعب.

الخاتمة

جسدت هذه الدراسة محاولة للكشف عن رؤية الذات وتمثيلاتها داخل النص الروائي الخاص بعالم روايات الكاتبة العمانية غالية ال سعيد، عبر رواياتها (أيام في الجنة ، سنين مبعثرة ، جنون اليأس) وتوصلت الدراسة الى نتيجة مفادها أن الكاتبة كشفت عن معاناة الذوات في طرح التساؤلات الوجودية الأساسية في الكون وتيه الذوات في العالم وتشتتها بسبب طبيعة الذات وطبيعة تكوينها منذ الطفولة والظروف التي نشأت بها وأحاطت بها لذا كان ضياع بعضها بسبب فقدان الأمان في العائلة، مما يعكس سلوكا سلبيا لديها تجاه الآخر والعالم كالعنف، أو يلاحظ أن هذه الذوات تسلك سلوكيات منحرفة أو خاطئة في التعبير عن ذاتها والتعامل مع الآخرين. وتخلص الكاتبة الى نتيجة أن الذات عاجزة على الإجابة عما يطرح من تساؤلات وجودية، وهي غير قادرة على فهم واستيعاب الكون بمجمله، فهي ذوات ضعيفة لأنها موزعة في الكون دون إرادة منها، وتسعى للعيش والتأقلم باي شكل كان لتستمر في الوجود.

الهوامش:

(١) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،مكتبة مدبولي،د.عبد المنعم الحفني، القاهرة،مصر،ط٣، ٢٠٠٠، ص١٢٤.

(٢) أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، ترجمة نعيمة بن عبد العالي وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص٩.

(٣) ينظر أنطولوجيا الرواية، رشيد اللحياني، ١٨ نوفمبر، ٢٠٢١، https://bilarabiya.net/٢٣٥٧١html.

(٤) فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة خالد بلقاسم، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٥٢

(٥) ينظر المركزية الأنثوية في الشعر النسوي المعاصر (مقاربة سوسيو ثقافية) ، د رائد فؤاد طالب ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، العدد ٢،المجلد ٤٦ ، نيسان ٢٠١٢، ص١٨٨

(٦) المرأة والسرد، محمد معتصم، دار الثقافة الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٣٥.

(٧) ينظر، بناء الحكاية والشخصية في الرواية النسائية العربية المعاصرة، محمد معتصم ،ص١٤.

(٨) النص والجسد والتأويل فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٣ ،ص ٣٤٠،.

(٩) الهوية والاختلاف في المرأة ، الكتابة والهامش محمد نور الدين افاية ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط١،٢٠١١ ص ١٢.

(١٠) ينظر سؤال الذات والهوية في الكتابة النسائية من منظور الناقد محمد معتصم، د. ريمة لعواس، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، باكستان، العدد ٢٧، ٢٠٢٠، ص ٩١ وما بعدها.

(١١) ينظر الذاتية في كتاب مدني وأهوائي للطفية الدليمي ، د إشراق سامي عبد النبي ، مجلة إحالات ، العدد الخامس ،٢٠٢٠، ص٢٤١

(١٢) أيام في الجنة، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠١١، ص١٧٢.

(١٣) أيام في الجنة، ص٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص١٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص٦١.

(١٦) ينظر لعبة الذكورة والأنوثة في روايات غالية آل سعيد، إبراهيم محمود، دهشة ثلاثية الأبعاد، ص٢٧٢.

(١٧) سنين مبعثرة، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠١٨، ص٣٨٣.

(١٨) المصدر نفسه، ص٣٨٣.

(١٩) المصدر نفسه ، ص١٢.

(٢٠) جنون اليأس، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠١٨، ص٩.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٠.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٧.
(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٨.

المصادر والمراجع

الروايات

١. أيام في الجنة، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط2، 2011.
٢. جنون اليأس، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠١٨.
٣. سنين مبعثرة، غالية ال سعيد، رياض الريس للكتب والنشر، ط2، 2018.

المعاجم:

١. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، د عبد المنعم الحفني، القاهرة، مصر، ط 3، 2000.

الكتب:

١. أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، ترجمة نعيمة بن عبد العالي وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2014.
٢. بناء الحكاية والشخصية في الرواية النسائية العربية المعاصرة، محمد معتصم ،دار الأمان الرباط ، ط١، ٢٠٠٧.
٣. سؤال الذات والهوية في الكتابة النسائية من منظور الناقد محمد معتصم، د. ريمة لعواس، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، باكستان، العدد ٢٧، ٢٠٢٠.
٤. فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة خالد بلقاسم، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٥. المرأة والسرد، محمد معتصم، ط١، دار الثقافية للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.
٦. النص والجسد والتأويل،فريد الزاهي ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١.
٧. الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، محمد نور الدين افاية ،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، ٢٠١١.

المقالات:

١. الذاتية في كتاب مدني وأهوائي للطفية الدليمي ، د إشراق سامي عبد النبي ، مجلة إحالات ، العدد الخامس ، ٢٠٢٠.

٢. المركزية الأنثوية في الشعر النسوي المعاصر (مقاربة سوسيو ثقافية) ، د رائد فؤاد طالب ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، العدد ٢،المجلد ٤٦ ، نيسان ٢٠١٢.

٣. لعبة الذكورة والأنوثة في روايات غالية آل سعيد، إبراهيم محمود، دهشة ثلاثية الأبعاد.

شبكة الأنترنت:

١.انطولوجيا الرواية، رشيد اللحياني، 18 نوفمبر، 2021،

.html23571https://bilarabiya.net/